نظام التربية والتعليم لدى الساموراي ونشاطهم الثقافيّ من عهد أيدو حتى ١٨٦٨م

بحث مستل لطالب الماجستير: عباس كاظم عباس
بإشراف: أ. د. نوري عبد الحميد العانيّ
جامعة بغداد – كلية التربية/ ابن رشد للعلوم الإنسانية

الملخص:

يرمي هذا البحث التعرف بـ(وسائل التربية والتعليم لدى الساموراي ونشاطهم الثقافي)، إذ يعدُّ نظام التربية والتعليم في اليابان أبان الحقبة الإقطاعية نظاماً شفوياً يعتمد على تلقي التعليم والتعلم بالمعنى المحدد لتعلم القراءة والكتابة واعتماده على الأساطير والرواية الشعبية المتناقلة من جيل الى أخر الا ان في أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي بدء الانفتاح على الثقافة الصينية والتي تزامنت مع دخول الديانة البوذية عن طريق الرهبان الصينيين القادمين من كوريا وبذلك كانت المبادئ الكونفوشيوسية الخمس (التعليم، حب الخير، العدل، حسن المعاملة أو اللطف، تكامل الشخصية) وبهذا ارتبطت عملية التعلم باليابان بالانفتاح على الديانة البوذية التي تحتوي على كم هائل من التراث الأدبي الصيني والكوري والهندي المترجمة الى اللغة الصينية التي أصبحت بأحرفها لمسماة بـ (الكانا) الأبجدية الأساسية للغة اليابانية التي تطورت بدورها في المعابد البوذية في العاصمة نارا ثم انتشرت في مختلف إرجاء اليابان ليبدأ عصر التدوين والكتابة في هذه الحقبة (٧١٠-٧٩٤م) وليضطلع معلمو الساموراي بهذه المهمة العظيمة في بادئ الامر في المعابد البوذية ثم في مدارسهم الخاصة المسماة بـ (التراكويا) و(الغانكاكو) التي أنشأت خصيصاً لهذا الغرض.

المبحث الأول: التطور التاريخي لتعليم الساموراي قبل عصر أيدو

يؤكد الدارسون للنظام التعليميّ في اليابان أنَّ التربية والتعليم قد بدأت على وفق المبادئ الكونفوشيوسية والتي كانت تؤكد على الحسنات الخمس وهي: "التعليم، حب الخير، العدل، حسن المعاملة أو اللطف، تكامل الشخصية"[١]، إلّا أنَّ عملية التعليم والتعلم بالمعنى المحدد بتعلم القراءة والكتابة في اليابان لم تبدأ إلا في أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي مع بداية الانفتاح على الثقافة الصينية الذي كان متزامناً مع دخول الديانة البوذية وأتباع نظام الأحرف الصينية في الكتابة[٢]. وقد ساهم دخول الديانة البوذية عن طريق الرهبان البوذيين الصينيين القادمين من كوريا، بارتباط عملية التعلم في اليابان بالانفتاح على الديانة البوذية التي كانت تحتوي على كم هائل من التراث الأدبي الهندي والكوري المترجم إلى اللغة الصينية والمكتوب بها، والتي قام الرهبان الصينيون البوذيون بعد ذلك بنشر هذهِ المعرفة بالقراءة والكتابة بالحرف الصيني[٣]. ولقد كان المجتمع الياباني قبل هذهِ المرحلة مجتمعاً شفوياً يعتمد على رواية الأساطير عبر التقليد والمحاكاة لينقل معارفه من جيل إلى أخر حيث كان تداول الروايات الشعبية والخرافات المحلية

متداولاً بشكل شائع وشفوياً، وبعد أن بنيت أولا المعابد البوذية في العاصمة القديمة "نارا" ثم في مختلف أرجاء اليابان بدء عصر التدوين في اليابان والانتقال إلى طور الكتابة(٤).

ولقد كانت مراكز التعليم في بادئ الأمر ملحقة بالمعابد وكان التعليم فيها محدوداً ومختصراً على فئتين هما، رجال الدين البوذيين، وفئة النبلاء (كوجي)، حيث أقبل النبلاء في عهد نارا (٧١٠-٧٩٤)، وبشكل أكبر في عهد هييان (٧٩٤-١١٨٥)، على تعليم أبنائها وتلقينها المبادئ الكونفوشيوسية وفق الأنموذج الصيني، ليكونوا رجال الدولة والعاملين في المناصب الإدارية لذلك تم أنشاء مدارس خاصة لأبناء النبلاء في العاصمة الجديدة كيوتو وفي الأقاليم الأخرى بالإضافة إلى المراكز التعليمية التابعة إلى المعابد (٥). ولقد كان التعليم في مدارس النبلاء لا يختلف كثيراً عن شاكلتهِ في المعابد، حيث كانت المعارف البوذية والكونفوشيوسية التي كانت أساس التشريعات والقوانين هي المادة الأساسية للتدريس(٦). ومن أشهر المعابد البوذية التي كانت تمثل المراكز الأولى في ظهور التعليم هو معبد هوريوجي الذي أسسه الأمير شوتوكو(٥٧٤-٦٢٢) في العاصمة نارا عام ٦٠٧م، حيث مثل شوتوكو أولا دعاة نشر البوذية في اليابان(٧). وكذلك تعد مدرسة (داي غاكوريو) من أوائل مدارس النبلاء التي أنشأت في العاصمة كيوتو، في عهد الأمير تينجي(٦٦١-٦٧٢)، في النصف الثاني من القرن الثامن، وكانت عبارة عن مؤسسة تعليمية عليا شبيه بالجامعة، كانت مخصصة لأبناء النبلاء، حيث تعمل على تعليمهم المبادئ الكونفوشيوسية المتعلقة بشؤون الحكم وتدريبهم لإدارة شؤون الدولة، ولقد أنشئت مدارس مماثلة لمدارس داي غاكويو في المقاطعات والأقاليم كانت تحمل بشكل عام أسم كوكوغاكو(٨). فضلًا عن التعلم البوذي فإنَّ تدريس الأدب والفنون الصينية وخاصة الشعر والموسيقى كان يحظى بإقبال كبير من قبل نبلاء ، حيث شهد عصر هييان نهضة أدبية كبير ساهمت فيها نساء الطبقة الأرستقراطية، وبشكل واسع، وكان السبب الرئيسي لشدة إقبال النساء في كيوتو على التعليم غير النظامي وتوسيع المعرفة بالقراءة والكتابة بينهن يرجع إلى ابتكار شكل جديد للكتابة باللغة اليابانية يسمى (الكانا)(٩). وهو عبارة عن أسلوب مبسَّط للكتابة اليابانية مشتق من أسلوب الكتابة الصينية المعقدة، حيث حقق شهرة واسعة لدى المتعلمين وسهل من عملية التعليم ونشرها على نطاق واسع في اليابان(١٠).

ولقد كان لأبناء العامة في اليابان نصيبهم من التعليم حيث لم يستثنهم الرهبان البوذيون من هذهِ الفرصة فتم أنشاء مؤسسة في كيوتو لتعليم الأطفال وتلقينهم المبادئ البوذية بزعامة الراهب البوذي كوكاي (٧٧٤-٨٣٥) وعلى نحو مشابه للمدارس الصينية لتعليم البوذية، ألا أن هذا النمط من التعليم لم ينتشر إلى باقي المدن اليابانية بسبب موت الراهب كوكاي(١١).

نعلل سبب عدم انتشار نمط التعليم العام بين أبناء الطبقات الأخرى في المجتمع الياباني؛ بسبب التعصب الطبقيَّ الشديد وحرص كل طبقة وخاصة العليا على امتيازاتها الخاصة، حيث

يشكل التعليم واحداً من أهم الامتيازات التي تحظى بها، والتي لا تسمح بأي حال من الأحوال بأن تتنازل عنه للطبقات السفلى كالفلاحين والصناع، بالإضافة إلى أن التعليم يشكل ترفاً فكرياً ومادياً، لأبناء الطبقات الدنيا المشتغلين بالكدح والعناء لتوفير احتياجات كبار ملاك الأراضي من الإقطاعيين(١٢).

وعندما انتقلت السلطة إلى الساموراي وأصبح لهم الامتياز الأوفر واليد الطولى في الحكم بلاد وخارجه في مطلع سنوات العصور الوسطى في اليابان (١١٨٥-١٦٠٠)، أهتم الساموراي خلال ذلك بنشر المعرفة والتعليم بين أوساطها وضمان تعليم أبنائهم لضمان استمرار هيمنتهم، وللقيام بالأعباء والمهام الأولية للحكومة(١٣).

لذلك عمل الساموراي خلال تلك الفترة على استغلال المدارس الدينية في المعابد ومدارس النبلاء لهذهِ الغاية، في العاصمة هييان أو كيوتو وفي بقية الأقاليم، على الرغم من محاولة بعض الطوائف البوذية وخاصة طائفة (الزن)(١٤). البوذية لكسر احتكار فئة نبلاء الساموراي وفئة النبلاء لاحتكار التعليم إلا أن محاولتهم أصابها الفشل بسبب نشوب حروب أونين، أو ما يسمى بعهد الدويلات المتحاربة (١٤٧٧-١٥٦٨)، والتي كان من أهم نتائجها انحطاط التعليم وانقطاعه في مدارس الأقاليم وبقاء التعليم منحصراً وفئوياً تهيمن علية فئة النبلاء في عهدي (نارا وهييان)، وفئة الساموراي في عهدي الكاماكورا (١١٩٢-١٣٣٣)، والموروماتشي (١٣٣٣-١٥٧٣)(١٥). ولقد لعبت مدارس الساموراي التقليدية قبل عصر التوكوجاوا دوراً بارزاً في تعبيد الطريق أمام المدارس الحديثة في اليابان، ولاسيما في جانب إقرار اللغة اليابانية واثباتها على النحو المبسط والحديث عبر ابتكار رموز الكانا التي هي عبارة عن مقاطع صوتية تبدأ بحرف أو حرفان زائداً حركة والتي تم تطويرها في مدارس المعابد اليابانية والتي طورها الرهبان اليابانيون لكتابة المفردات اليابانية والتي لا يوجد لها أصل في الرموز الصينية، وهي تشبه من حيث المبدأ الحروف الأبجدية، بمعنى أنها رموز تؤدي وظيفة صوتية (١٦).

المبحث الثاني: التعليم في عهد توكوجاوا

شهد التعليم في عصر توكوجاوا نقلة نوعية وتطوراً ملحوظاً لم تشهدهُ اليابان في مختلف عصورها، لكن على الرغم من ذلك فأن التعليم بقي فئوياً ونخبوياً مقتصراً على فئة الساموراي الحاكمة، ولقد كان تعليم الساموراي يحظى بدعم سلطات الحكومة سواء على مستوى الصعيد المركزي لنظام الشوجني أو على مستوى المقاطعات حيث كانت مدارس الساموراي تحظى برعاية الفئتين، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت مدارس أبناء الإقطاع والتجار والصناع والفلاحين تسير بشكل مواز إلى مدارس الساموراي ألا أنهُ كان يحظى بدعم وانتشار قليل، ولقد أدى هذا التوسع في التعليم في عصر توكوجاوا إلى خلق شريحة واسعة من الساموراي تجيد القراءة والكتابة، حيث بلغت

نحو ٥٠% في المدن الكبرى مثل أيدو وأوساكا وكيوتو[١٧]. ولقد تميز تعليم الساموراي خلال عصر توكوجاوا بأتباع مبدأ الاستحقاق و العلمنة حيث تم أعطاء مهنة التعليم والتدريس إلى من يستحقهُ من المدرسين والذين كانوا من فئة الساموراي، وكذلك فصلهِ عن التعليم الديني في المعابد، والتأكيد على مبادئ الكونفوشيوسية الفلسفية الملائمة لتكريسها بشكل ومعنى يهدف لخلق شخصية يابانية أكثر وضوحاً وتجذراً في حب الوطن.

ويعدُّ هذا الأسلوب نقلة نوعية في نظام التعليم الياباني ولم يكن مقتبساً من النظام الغربي في أوربا وأن كان مقارباً لهُ في الفترة[١٨]. ولقد كان عامل الاستقرار الأمني الطويل الذي استطاعت شوجنة توكوجاوا أن تحققه، عبر أكثر من قرنين ونصف من الزمان أن يدعم ويرسخ أيدلوجية هيمنة الساموراي على النظام الاجتماعي القائم بالاعتماد على القوة العسكرية المجردة، حيث وجدت قوى الساموراي في المبادئ الكونفوشيوسية المصادر الأساسية والعمود الفقري للمناهج الدراسية التي كان على طلاب الساموراي دراستها بشكل إجباري في المراحل الدراسية الأولى من التعليم[١٩]. ولقد أدى الازدهار الاقتصادي للمدن وتوسعها بشكل خاص بالسكان والأبنية، وبناء القلاع لتكون مقراً للزعماء من الدايميو، إلى أن تستقر فئة الساموراي تدريجياً في المدن وتهجر الحياة في الريف، الأمر الذي أنعكس ايجابياً في كثرة التحاقهم بالمدارس التي أقيمت في كل عاصمة من عواصم البلاد، وأصبح الساموراي يميلون تدريجياً نحو حياة الدعة والاستقرار والارتقاء في المناصب الإدارية والاجتماعية عوضاً عن اكتساب الشهرة بالمهارات الحربية والجسارة في الحروب، وكذلك ساهمت حركة التوسع في الطباعة الكتب والنشر في الإقبال على توسع في القراءة والكتابة حتى من قبل الفئات الأخرى التي كانت متواجدة إلى جوار الساموراي مثل فئة التشونين التي شكلت برجوازية المدن من التجار والصناع حيث سمح لها بدخول مدارس الساموراي التراكويا نتيجة للضغط الشعبي المتزايد للراغبين في التعليم[٢٠].

ويمكن أن نميز نظامين للتعليم في عصر توكوجاوا، حيث كان في العاصمة أيدو نظامين للتعليم، الأول خاص بأبناء الساموراي يتكون من مدارس ومعاهد خاصة يشرف عليها الشوجون والدايميو، ومدارس عامة لأبناء الطبقات الدنيا من التجار والصناع والفلاحين، وكذلك كان هناك صنف ثالث من المدارس الخاصة بالكهنة في العابد حيث يمتلكها ويشرف عليها الرهبان ومعلمو الكونفوشيوسية حيث يدرسون فيها معتقداتهم الكونفوشيوسية بعيداً عن أيدلوجية الساموراي[٢١].

وسنحاول أن نسلط الضوء على فلسفة النظام التعليمي للساموراي ومدارسهم الخاصة وأنواعها بالشكل الاتي:

أولاً- مدارس الساموراي:

كان تعليم أبناء الساموراي يبدأ داخل المنزل العائلي حتى سن الخامسة عشرة، حيث كانت طبقة الساموراي تملك قدراً جيداً من الثقافة العصرية، تستطيع أن تعلم أبنائها المبادئ الأساسية لتكون قادرة على الالتحاق بمدارس المعبد المسماة بـ التراكويا ولم يقتصر التعليم في هذه المدارس على الذكور بل شمل الإناث أيضا، وبعد أن يكمل الطالب تعليمه يستطيع الذهاب إلى معاهد المقاطعة المعروفة باسم (إلهان-نانكو) وهي للتعليم الثانوي أو التعليم العالي[٢٢]. وقد كان من الأسباب التي أدت إلى إنشاء مدارس المقاطعات والتي تسمى بالمعهد الثانوي هان- نانكو، هو حاجة الدايميو إلى أن يتقن الساموراي معارف أعلى من القراءة والكتابة والتي كانت يتلقوها بواسطة معلم يستأجر من قبل العائلة حسب قدرتها المالية، وكان الدايميو يستعين بخبرات معلم للكونفوشيوسية يسمى (جوشا).[٢٣] لتعليم أبنائهم مبادئ هذهِ الفلسفة، بالإضافة إلى تقديم الاستشارة والكتابة، لذلك ظهرت الحاجة من قبل الشوجون إلى أن يلتقي بزعماء الدايميو ويخبرهم بضرورة أعداد الساموراي على وفق الأنظمة الحديثة، حيث كان الشوجن أياسو يؤكد دوماً على أن العالم قد يتغير ويجب على الدايميو إنشاء معاهد يتعلم منها أبناء الساموراي معارف تخدم الدايميو، ولإدارة وتنظيم أمورهم بحكمة واعتدال[٢٤]. لذلك أقدم الشوجون على أنشاء المدارس والمعاهد الخاصة إلهان-غاكو بأشراف ودعم الدايميو في المقاطعات والتي أقبل عليها الساموراي في العواصم بشدة لتلقي المعرفة والتعليم للترقي في النظام الإداري[٢٥].

وكان أعداد معاهد الهان-غاكو في القرن السابع عشر قليلة، حيث كان الدايميو ذوي الدخل الكبير فقط من يساهم في أنشائها، ألا أنها شهدت توسعاً كبيراً في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر[٢٦].

وكانت معاهد الهان-غاكو تختلف عن المدارس الخاصة التراكويا، من حيث مناهج التعليم والإمكانيات المادية، والبنايات وطاقم التدريس، وكان الدايميو يوجه سلطات الهان بتخصيص أرضاً مناسبة لإقامة المعاهد وملحقاتها لإقامة الطلبة والأساتذة، والمورد المالي الكافي لتغطية نفقاتها، والأنفاق على المدرسين الذين يتم استقطابهم من معلمي الساموراي، أو معلمي الكونفوشيوسية، وكذلك كانت الهان-غاكو تضم أقساماً للدراسة وغرفاً لإقامة الطلبة والأساتذة ومكتبة تتوفر فيها الكتب المقررة، كذلك كانت نفقات شراء الكتب تقع في مجملها على كاهل الدايميو الذين لم يبخلوا عليها بشيء[٢٧]. ولقد كان النظام التعليمي في معاهد الهان- غاكو يتصف بالشدة والصرامة، ويعتمد على الفئوية في تصنيف الطلاب، حيث كانت تراعي مكانة ومرتبة أسرة الساموراي التي ينتمي إليها الطالب ابتداء من الجلوس في قاعة الدرس وحتى ساحة التدريب على المهارات الحربية، حيث كانت مكانة الطالب تحدد وحسب مكانة أسرتهِ قبل كل شيء[٢٨]. وأما بالنسبة إلى

المنهاج الدراسي، فقد كان يتمحور حول تثبيت المنهج الرسمي للسلطة، ويتبع التعليمات الصادرة من السلطان الحكومية، حيث كان يدرس منهج (التشوهسي) الذي أعتمدهُ الشوجون أياسو توكوجاوا بالإيحاء من أستاذة ومعلمهِ الأول الراهب (هياشي رزان)، ولقد أصبح مذهب التشوهسي هو المذهب الرسمي في التدريس في معاهد (الهان غاكو) بناء على الأمر الصادر من مستشار الشوجن أياسو المدعو (ماتسودايرا سادوانوبو) في عام ١٧٩٠[٢٩].

إنَّ معاهد الهان – غاكو لم تكن المدارس الوحيدة التي سمح لأبناء الساموراي أن يدخلوها، بل كانت الفرصة متاحة لهم للدخول إلى ما يسمى بمدارس (الشيوجي) وخاصة في العاصمة والمدن الكبرى، والتي كانت من نمط المدارس الخاصة، وهي في شكلها العام مدارس أسسها معلمو الكونفوشيوسية وتلامذتهم، ومنهم المعلم فوجي واراسيكا الذي كان رائد الحركة الكونفوشيوسية ومن الدعاة الأوائل لها في اليابان، الذي تتلمذ على يديه (هياشي رزان) مستشار ومعلم الشوجن الأول إياسو، حيث قام بنشر أفكار هذا المذهب وتطبيقها على أرض الواقع بدعم من الشوجن نفسه[٣٠]. وفي عام ١٦٣٠ تقدم (هياشي رزان) بطلب الدعم المالي من الشوجن الثالث إييميتسو لإقامة مدرسة شيجوكو خاصة به في العاصمة أيدو، وكانت مدرسة هياشي رزان أنموذجاً يتحذى بهِ لمدارس شيجوكو الخاصة ذات التوجه الكونفوشيوسي الذي يدرس مذهب التشوهسي الرسمي التابع للدولة [٣١]. وبعد مبادرة هياشي رزان بإنشائه مدرستهِ الخاصة تبعهُ أساتذة معلمين من معاصريه أنشاء مدارسهم الخاصة شيوجوكو، ومنهم (ماتسوناغا سيكيغو) (١٥٩٢–١٦٥٧) والذي تتلمذ على يد (فوجي واراسيكا) وأسس مدرسة خاصة به عام ١٦٤٨ تخرج منها ما يقدر بـ (٥٠٠٠) طالب[٣٢].

وخلال تلك المدة، أضيفت مدارس أخرى، تركزت مناهجها في التوجه القومي الياباني، وكان من أول من أنشأ هذهِ المدارس هو (موتوأوري– نوريناغا) (١٧٣٠–١٨٠١)، والذي يعد رائد التوجه القومي الياباني، وكذلك تم أنشاء المدارس الغربية في العقد الأخير من القرن الثامن عشر حيث كانت تعتمد أساسياً على المراجع والمصادر الهولندية والألمانية وتدعى بمدارس (الرونكين)[٣٣].

وعلى الرغم من انتشار المدارس بشكل واسع خلال أواخر عصر أيدو، ألا أنها كانت تشكو من صغر الحجم وقلة الكادر البشري، فكانت المدارس تتألف في عمومها من بناية واحدة صغيرة، تحتوي على قاعة أو ردهة صغيرة تكون ملحقة بمنزل صاحب المدرسة الذي يكون المعلم الوحيد في المدرسة، أو بالنسبة إلى أعداد الطلبة فكان يتراوح بين (٣٠–٥٠) طالباً في كل فترة دراسية، ولكن بالرغم من قلة إمكانيات هذهِ المدارس فقد كان لها الدور الكبير والسبَّاق في التعليم أبناء الساموراي وغيرهم قبل قيام سلطات الحكومة الرسمية بإنشاء معاهد الهان – غاكو[٣٤].

وإلى جانب المدارس الخاصة والمعاهد الخاصة بتعليم أبناء الساموراي، كان يوجد نمط آخر من التعليم أبناء الساموراي ألا وهو التعليم الخاص المنفرد حيث كان منتشراً في العواصم الكبير مثل أيدو كيوتو أوساكا، التي كان يقطنها عدد من المعلمين الخاصين الذين يؤجرون أنفسهم للعوائل المتمكنة لتعليم ابنائهم كالرسم والخط والموسيقى والشعر وتصفيف الزهور والطبخ والمسرح، وبلغ عدد المعلمين الخاصين في العاصمة كيوتو (٢٤١) معلماً عام ١٦٨٥ ثم ارتفع إلى (٤٤٠) معلماً عام ١٧١٧[٣٥].

ثانياً- فلسفة وأهداف التعليم لدى الساموراي:

منذُ أن تم الاستيلاء على السلطة في اليابان من قبل فئة المحاربين الساموراي، لم تكن المعرفة والرغبة في الحصول عليها غائبة عن أذهانهم، بل كانت مفردات المعرفة حاضرة في تكوينهم والذي يصطلح عليه بـ(البو) والتي تعني المهارات العسكرية والبو في اللغة اليابانية يعني الجذع والذي أشتق منه مصطلح البوشيدو، طريق المحاربين، وهذا المصطلح كان مرادفاً لكلمة (البون) والذي يقصد بهِ التعليم والثقافة والمعرفة، والبون يعني أيضاً الجذع الذي أشتق منه مصطلح "بونكا" الذي يراد بهِ الثقافة في اللغة اليابانية[٣٦]. ولقد شكل البو والبون الفرعين الرئيسيين في ثقافة الساموراي حيث يكمل أحدهما معنى الآخر كما تعبر عنهُ أحد أشعار الساموراي في القرن الرابع عشر "من لم يعرف طريق (بون) لا يمكنهُ أن يحقق الانتصار في طريق (بو)"، والذي يعني أجمالاً بأن المعرفة ضرورية للساموراي في المجال العسكري ليحقق النصر وفي غيابها غياب للنصر المؤكد، أنها تعني القيام بالأمرين معاً[٣٧]. ولقد كان الشوجن أياسو راغباً لبعث وأحياء هذهِ الفلسفة في حياة وأخلاق الساموراي بعد أن انتهت حروب التوحيد ووصول أسرة توكوجاوا إلى الحكم وتم إخضاع الدايميو إلى سلطة عسكرية مركزية[٣٨]. لذلك قام الشوجن أياسو بإصدار مجموعة من القرارات والمراسيم التي تدعو إلى أحياء هذا الجانب من ثقافة الساموراي وتطبيقهُ بشكل مؤسساتي، حيث تم إصدار مرسوم يُعرف بـ(بوكي-شوهاتو) عام (١٦٥١)، والذي ينظم ويضبط العلاقات بين مختلف مكونات المجتمع الياباني ويرسخ ويحدد بدقة موقع فئة الساموراي بين مكونات وطبقات المجتمع، ولقد كان هذا المرسوم من بناة أفكار الراهب هياشي رزان أحد كبار معلمي الشوجون للكونفوشيوسية الجديدة في القرن السابع عشر، وكذلك ساهم في أعداد هذا المرسوم (أيشين سودين) وهو راهب من طائفة الزن البوذية ساهم في تطوير مؤسسات الحكومة في عصر توكوجاوا[٣٩]. ويتطرق البند الأول من مرسوم بوكي- شوهاتو إلى أوضاع الساموراي وسلوكهم وطريقة عيشهم، ويتطرق الجانب الثقافي في هذا البند إلى ضرورة الاجتهاد والبحث عن المعرفة "بون" وممارسة "بو" الفنون الحربية والتي تعني فيها (استعمال السيف والقوس وركوب الخيل، فيجب الأخذ بها جنباً إلى جنب، فالمعرفة في اليد اليسرى والسلاح في اليد اليمنى)[٤٠]. وكذلك يؤكد البند الأول من المرسوم

علـى أن الحـرب وأن كانـت واقعـاً مفروضـاً، ألا أنـهُ فـي وقـت السـلم يجـب أن لا ننسـى قيـام الاضطرابات يجيب القيام بالتدريب وأخذ أهبة الاستعداد، "أن تعلم فنون السلام يُعد مساوياً لتعلم فنون القتال"(٤١).

لـذلك نلحـظ أنَّ إصـرار نظـام الشـوجنة بزعامـة أياسـو علـى وضـع مراسـيم تعلـيم السـاموراي ووضعها تحت التطبيق باوصفها من الأوامر الرسمية، لم تكن المعرفة وإدخالها على الساموراي هي الهدف الأساس والفرض المتوخى، بل كان إصرار شوجونه توكوجاوا على الحفاظ على مكتسباتها وتثبيتها بكل الوسائل المتاحة، فهدف الشوجنة الأول لم يهدف إلى نشر المعرفة بين الساموراي للمعرفة ذاتها وتقديراً لها، أو من أجل أعداد الكوادر من الساموراي للعمل الإداري، بل كان الهدف الرئيسي يهدف إلى أشاعه ونشر وتأكيد قيم الولاء والتبعية المطلقة للحاكم وترسيخها في المؤسسة العسكرية القائمة، حيث كانت الفلسفة الجديدة التي وضعها هياشي رزان للشوجن الأول أياسو كنظام أخلاقي يشدد على الكونفوشيوسية الجديدة حيث أعتقد الشوجون ومستشاريه بأن هناك ترابطاً قوياً بين الأخلاق وحفظ الأمن والسلم والتي تعد عاملاً مهماً وحاسماً في بقاء نظام الحكم الذي أقامة توكوجاوا أياسو(٤٢).

لذلك ركز أغلب المنظرين ومستشاري التعليم الأوائل في عصر توكوجاوا، الذين كان أغلبهم من معلمي الكونفوسيوشية والذين كانوا يؤكدون على الجانب الأخلاقي في تكوين شخصية الساموراي ومن أشهر هؤلاء المعلمين هو (إيتوجينساي) (١٦٢٧-١٧٠٥) في القرن السابع عشر والذي كان يؤكد "بأن التربية والتعليم لن يتحقق إلا عبر دراسة "طريق القدامى خاصة طريق كونفوشيوس وأن التعليم ليس صقل للعقل ولكن صقل للإدارة، وأن يكون المرء طيباً وذا سلوك قويم أفضل من أن يكون عالماً"(٤٣). ويقصد إيتوجنساي بالطريق منهج الكونفوشيوسية الأساسي وما تعلمهُ من مصادر من قبيل حب الخير ورعاية الأب والزوج والأخ الأكبر والحاكم، والولاء والطاعة، والذي يمكن أن ينعكس نحو أخلاق الرعية نحو الحاكم ويجعل الحكام يحكمون بصورة أفضل ويجعل المحكومين أكثر طاعة وانقياداً(٤٤). وفي خصوص ذلك يؤكد المعلم (دازي شونداي) (١٦٨٠-١٧٤٧)، أن مهارة الإنسان تأتي من الدراسة، والتي تعد أمراً ضرورياً لحك الدولة، وبناء على ذلك، تم وضع النظام الفلسفي لتعليم الساموراي ليكون جامعاً بين المهارات الحربية والمعرفة بالمبادئ الكونفوشيوسية، والمعارف الأخرى التي تخدم الساموراي وتعينهم في تحمل الأعباء الإدارية والعسكرية(٤٥). ومن خلال ذلك نستطيع القول بأن التأكيد على الجانب الأخلاقي من جانب طاعة الساموراي لسيدهِ الإقطاعي، أدى إلى انتشار واسع للتعليم الكونفوشيوسية وترسيخ مبادئها بين عوائل وأبناء الساموراي، حيث حرص الدايميو قبل انتشار المدارس في القرن الثامن عشر

على وجود معلم أو دار للكونفوشيوسية يعرف بدار أو معلم (الجوشا) ليعمل مستشاراً لهم ومعلماً لهم ولأبناء كبار الساموراي[٤٦].

وكذلك يمكن أن نستنتج من ظاهرة انتشار الكونفوشيوسية والأخلاق المستمدة منها في تعليم الساموراي ما يمكن أن نعده نتيجة متوخاة وايجابية متمثلة في فصل التعليم عن هيمنة المؤسسات الدينية البوذية، فالكونفوشيوسية وأن اتخذت بُعدا دينياً في الصين، فأنها تمثلت في اليابان بكونها فلسفة أخلاقية للحكم لا غير[٤٧]. وبناء على ذلك فأن الكونفوشيوسية كانت هي الأساس الأيدلوجي الذي بني عليه النظام لتعليمي في توكوجاوا، والذي تمثل في فصل التعليم عن المؤسسات الدينية على مستوى المكان أو المجال، حيث لم تتخذ المدارس الأولى في عصر توكوجاوا من المعابد و الأديرة البوذية أو الشنتوية مكاناً لها، بل أعدت لها مباني خاصة ولم تتلق دعماً مالياً من المؤسسات الدينية بل من السلطة السياسية للشوجن في العاصمة والدايميو في الأقاليم[٤٨].

وبالنسبة للهدف الآخر لفلسفة النظام التعليمي للساموراي فهو يتمثل بفلسفة البو أو ما يتعلق في أنشاء وتكوين المهارات الحربية، فاستعمال السلاح يمثل الجانب الثاني والرئيسي في ثقافة الساموراي والتي كان الدايميو يوليها عنايته الخاصة عبر المعاهد التي تم إنشائها كمدارس حربية تخصص جزءاً من مناهجها لغرض اكتساب أبناء الساموراي المهارات الحربية اللازمة وكيفية المحافظة عليها وتطويرها في زمن السلام[٤٩].

ويكمن أن نستعرض أنواع المدارس المنتشرة في اليابان خلال عصر توكوجاوا لتعليم الساموراي بالشكل الاتي:

١. الدراسات الصينية الكونفوشيوسية، الشعر الصيني والأدب.
٢. مدرسة تعليم الخط الصيني والكتابة بالخط الياباني (الكانا).
٣. مدرسة تعليم الحساب والقراءة والكتابة.
٤. المدارس الغربية لتعليم اللغة الهولندية والطب ولتقنيات العسكرية.
٥. المدارس العسكرية اليابانية لتعليم الرماية وركوب الخيل والمدفعية.
٦. المدارس الأولية لتعليم القراءة والكتابة.
٧. المدارس القومية اليابانية.
٨. مدارس لتعليم الرسم والمسرح، والأتيكيت الياباني. (فن شرب الشاي) وتنسيق الزهور (البونزاي)

ثالثاً– انتشار الطباعة والنشر:

يمكن أن عد ظهور الطباعة والنشر في عصر توكوجاوا وظاهرة التوسع في مجال الطباعة، العامل الأول والأكثر تأثيراً في انتشار المعرفة بالقراءة ولكتابة وانتشار ظاهرة الإقبال

على قراءة وإيجار الكتب وانتشار المكتبات، حيث ساعدت هذهِ الظاهرة على تحول الساموراي من ثقافة الحرب إلى ثقافة السلم وبالتالي تحولهم من فئة محاربة إلى فئة مقبلة على المعرفة وساعية إلى التعليم(٥٠). كانت الطباعة قد عرفت في اليابان في النصف الثاني في القرن السادس عشر، حيث وصلت تقنية الطباعة إلى اليابان بطريقتين الأولى من كوريا، والثانية من أوربا، إلا أن مصدر صيني يؤكد أن الطباعة بالقوالب المتضمنة للحروف المتحركة التي كانت المبدأ الأساسي لاختراع غوتنبرغ الألماني للطباعة كان مطوراً في لأساس من اختراع صيني يعود إلى أسرة (سونغ) عن طريق أحد العامة ويدعى (بي شاندنغ) الذي توصل إلى الطباعة بحروف متحركة على قوالب من الطين المشوي، إلا أن أبتكارهُ لم يتلاق الانتشار في الصين لكثرة الرموز الصينية إضافة إلى هشاشة الطين فانتقلت فكرة بي شاندنغ إلى كوريا في القرن الثالث عشر وتم تطوير طباعة الحروف بحروف مصنوعة من المعدن(٥١). وعندما قامت القوات اليابانية في عهد تيوتومي هيدي يوشي بغزو كوريا عامي (١٥٩٣-١٥٩٧)، قام بأخذ نماذج من المطابع الكورية التي تشتغل بالقوالب أو الحروف المتحركة، حيث تم تقديم هذا الاختراع الجديد إلى الإمبراطور (غود-يوئي) (١٥٨٦-١٦١١) لذي أمر بصناعة نموذج مشابه لكن بحروف خشبية وتمت طباعة الكتب لتقديم هدايا إلى الإمبراطور وليس لغرض التداول(٥٢).

كما أن الشوجن أياسو قام باستخدام المطبعة الكورية وأمر بأن يتم تقليدها ولكن بحرف برونزية وقام بطباعة الكتب وإهدائها إلى المعابد البوذية، أما الطريق الثاني لدخول الطباعة فكان عبر البعثات التبشيرية حيث تم إدخال أول مطبعة على النمط الأوربي وتركيبها بالقرب من (ناساكي) وكانت تعمل بالحروف اللاتينية واستخدمت بشكل محدود في طباعة بعض المؤلفات باللغة اليابانية و المترجمة أليها(٥٣). ولقد أدى انتشار الكتب إلى رواج دور النشر، حيث بلغت طوال عهد توكوجاوا حوالي (٢٠٠٠) دار موزعة على المراكز الحضارية مثل كيوتو، وأيدو، وأوساكا، وكان تبعاً لذلك أن تنتشر المكتبات ومحلات إعارة الكتب والتي ساهم الساموراي وبشكل كبير في رواجها لكونهم الطبقة والشريحة الواسعة الاطلاع والإقبال على الكتب، حيث كانت أغلب لمعاهد الخاصة بأبناء الساموراي أي مزودة بمكتبات لتوفير الكتب المقررة، وغيرها مما يحتاج إليه طلبة الساموراي ومعلميهم(٥٤). وكانت مكتبات معاهد الساموراي تخضع لقوانين تميز بعض الكتب عن غيرها، فهناك بعض الكتب التي تنحصر قراءتها داخل مكتبة المعهد لتعليمي مثل كتب الفنون الحربية والهندسية، أما كتب الشعر والأدب والخط فيسمح بإعارتها خارج المكتبة، حيث كان معلمو الساموراي يصنفون العلوم إلى العلوم الخاصة والتي لا يجب تداولها لغير الساموراي وعلوم العامة المتاحة للجميع(٥٥).

وكذلك كانت الكتب تصنف إلى كتب يمكن شرائها وكتب يمكن أن تؤجر حسب قدرة المشتري، فانتشرت تبعاً لذلك محلات أيجار الكتب التي كان يقبل عليها الساموراي بسبب محدودية نفقاتهم، وكونهم من جمهور القراء محدود الدخل، حيث كانت الكتب من النفائس التي تهدى إلى الشوجن أو كبار الدايميو، وكانت تصنع من الورق الفاخر وتزخرف بالبديع من الخطوط والزخارف(٥٦).

ومثال على غلاء الكتب في عصر توكوجاوا، بالنسبة إلى مداخيل أبناء الساموراي، فأن سعر قصة غرامية يعادل نفقة شهر من طعام (لساموراي) متوسط الدخل، وسعر الكتاب زهيد الثمن يعادل طعام ساموراي من الفئة الدنيا على مدى أسبوعين، وبناء على ذلك فأن أغلب الساموراي كانوا يلجئون إلى أيجار الكتب بدلاً عن شرائها(٥٧). أما الكتب النفيسة والجيدة والمترجمة مثل الأصول الكونفوشيوسية فلم يكن يستطيع شرائها سوى الأغنياء من التجار وكبار الدايميو والساموراي من الطبقات العليا، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن سعر إعارة الكتاب لمدة أسبوع كان يعادل أقل من عشر ثمن الكتاب. ولذلك انتشرت ظاهرة إعارة الكتب وأصبحت تجارة رابحة بسبب الشريحة الواسعة من القراء من الساموراي وأبنائهم والمتعلمين في المعاهد، حيث كانت محلات إعارة الكتب في العاصمة أيدو حتى وصلت عام (١٧٣٠) إلى حوالي (٨٠٠) محل، وفي أوساكا (٣٠٠) محل تقدم خدماتها إلى ما يقدر بأكثر من (٤٠٠) ألف من الساموراي(٥٨).

المبحث الثالث: المكتبات وأثرها في تطور الثقافة والأدب عند الساموراي حتى نهاية عصر توكوجاوا

إنَّ الحضارة اليابانية في مجملها هي حضارة حديثة وليست بعراقة الحضارة الصينية أو حتى الكورية، فالثقافة اليابانية هي نتاج ثلاثة حضارات: الحضارة الصينية التي دخلت إلى اليابان عن طريق كوريا وحضارة الهند البوذية ثم الحضارة الغربية، ويمكن أن نتتبع بداية ظهور المكتبة اليابانية في مكتبة معبد (هيو روجي) في (أيكا روجا) بالقرب من العاصمة نارا، وهذا المعبد بناه (شوتوكو–تايشي) (٥٧٤–٦٢٢) في سنة ٦٠٧، حيث كان شوتوكو– تايشي نائباً للإمبراطور (سويكو) سنة ٥٩٣، حيث يُعد شوتوكو من الرواد الأوائل في الحياة السياسية والفكرية في اليابان(٥٩). وقد درس شوتوكو البوذية والكونفوشيوسية والإدارة العامة والحكومية على يد القساوسة والأساتذة الكوريين وفي سنة (٦٠٣) أسس النظام الحكومي الطبقي الرسمي الذي تألف من اثنتي عشر درجة. وفي سنة (٦٠٤) وضع أول دستور ياباني المسمى بـ(دستور المواد السبعة عشر)، ولقد درس شوتوكو علوماً كثيرة داخل مبنى ملحق في معبد (هيورجي) الذي كان يطلق عليه (يوميدنو)، ويمكن أن نعد اليوميدينو من أوائل المكتبات ظهوراً في تاريخ اليابان(٦٠). ويعد شعر الأمير شوتوكو في ضرورة الذهاب مباشرة إلى مصادر الثقافة والعلوم والتقليل من الالتجاء إلى

كوريا في الحصول على العلوم والمعارف، لذلك قرر الأمير ضرورة نقل الثقافة الصينية إلى اليابان عبر إرسال الدارسين اليابانيين والقساوسة مباشرة إلى الصين لدراسة واستيعاب الثقافة الصينية وخاصة في جوانب الإدارة العامة والحكومية[٦١].

وكان أول المبعوثين اليابانيين إلى الصين هما: (أونو نو أموكو) سنة (٦٠٦-٦٠٧) و(أينوجامسي نوميتاسوكي) سنة ٦١٤م، وطبقاً للسجلات الصينية الرسمية الراجعة إلى أسرة (سوي) فأن أول بعثة يابانية كانت سنة ٦٠٠م، وبعد حلول أسرة تانج محل أسرة سوي، استؤنفت البعثات الدراسية إلى الصين من السنة الثانية من حكم الإمبراطور (جومي) سنة ٦٣٠م، واستمرت حتى بلغ عدد المجموعات المسافرة ما لا يقل عن عشرة مجموعات حتى سنة ٨٣٤م، وقد توقفت البعثات إلى الصين عندما أعترض أحد المبعوثين ويدعى (سوجاوارا نو ميكزين) (٨٤٥-٩٠٣م) من الذهاب إلى الصين كمبعوث فوق العادة لليابان[٦٢]. وعند نهاية حكم أسرة أسوكا، وبداية إصلاحات تاييكا سنة ٦٤٥م، التي بدأها الأمير ناكونوو والأمير ناكاتومي نو كامكو، والتي تمثلت في نقل العاصمة من أسوكا في نارا، إلى ستسو في أوساكا وتمركزت الأسرة حول الإمبراطور تنجي في نظام مشابه لنظام أسرة تانج في الصين[٦٣].

وكان الإمبراطور(تنجي)هو نفسه الأمير ناكونو (٦٢٦-٦٧١م) وتسمى بعد ذلك (الأمير) (ناكوتوجي نو كامكو) باسم (فيوجورا نو كاماتاري) (٦١٤-٦٦٩م) نؤسس أسرة (فوجيورا) ذات النفوذ السياسي الضخم، ويمكن أن نتلمس أثار إصلاحات (تاييكا) في القوانين والقرارات التي صدرت في عهد (تايهو) سنة (٧٠١م) على يد الإمبراطور (منمو)، ونتيجة لأحد هذهِ القوانين أنشئت دار حكومية باسم (مكتبة التدوين والكتب)، وكان وظيفتها الأساسية تدوين تواريخ الدولة وتجميعها والتاريخ للأسر الملكية الحاكمة ونسخ المخطوطات وتجليد الكتب واستيراد نوعيات الحبر الممتاز وفرشاة الكتابة[٦٤].

ولقد أنيط بهذهِ الإدارة أنشاء معمل لإنتاج نوع جيد من الورق، وكان نشر وحفظ الكتب أول عمل كلفت بهِ هذهِ المكتبة وطباعة أقدم عملين في كل تاريخ اليابان، وهما (سجل الوقائع القديمة) سنة (٧١٢)م، و(حوليات اليابان) سنة ٧٢٠، ولقد أصبحت (مكتبة التدوين والكتب) بعد عدة أجيال تقوم بخدمة ووظيفة الأرشيف الوطني بعد أن تراكمت فيه الكتب والسجلات والوظائف[٦٥]. وأول مكتبة افتتحت للجمهور في اليابان، هي مكتبة (أون تايي)، والتي أنشأت في نهاية القرن الثامن الميلادي في ولاية نارا، حيث قام أحد المحاربين (أيسونوكامي- ياكاتسيوجو)، بتحويل سكنه السابق إلى مكان للمطالعة سنة (٧٧٠م)، وجمع فيه كتباً غير بوذية وفتحهُ للشباب الراغبين في الدراسة[٦٦]. إلا أن هذهِ المكتبة العامة لم تستمر حيث تم إغلاقها عند وفاة مؤسسها (إسونوكامي- ياكاتسوجو) سنة (٧٨١)م وكان لانتقال العاصمة من نارا إلى كيوتو سنة ٧٩٤م على يد

الإمبراطور (كنمو) تأثيراً على تطور الأحداث في فترة هييان والتي انتهت بتأسيس الحكومة الإقطاعية الأولى في (كاما كورا) على يد ميناموتونو يوريتومو سنة (١١٨٥)م، وخلال فترة هيان تم توقف التبادل الثقافي الرسمي مع الصين، واضطرت اليابان إلى تطوير نظام ثقافي وفكري خاص بها وتم إخضاع الثقافة الداخلة إليها لظروفها الخاصة[٦٧].

ولقد شهدت تلك الفترة ظهور الأرستقراطية والنبلاء المحاربين الساموراي، حيث قام النبلاء بإنشاء المدارس الخاصة لتربية أبنائهم وتعليمهم ليصبحوا موظفي الدولة مستقبلاً، حيث كانت هناك مكتبات ملحقة بتلك المؤسسات التعليمية، وهناك مجموعة خاصة من الكتب توضع في خدمة الطلاب، ومن هذهِ المدارس مدرسة (كانجاكو–إن)، والقسيس (كوكايي فوميكيورو)، ولقد استمرت مدرسة كانجاكو إن التي تأسست سنة (٨٢١) لأكثر من (٤٦٠) سنة، وكانت ثاني أقدم مكتبة عامة في اليابان قد أقامها الساموراي (سوجاوارا نو ميكيزين) وعرفت باسم (كوجايي ان) وتعني (بيت زهور البرقوق الأحمر)، حيث أقامها في منزلهِ لأن الدولة لم تكن تهتم آنذاك بفتح مثل هذهِ المكتبات للاستخدام العام[٦٨]. ولقد شهدت حقبة هييان عملية مهمة حيث تم تبسيط وتطوير الحروف الصينية واستخدامها في الكتابة واستخدام الرموز ذات الدلالات الصوتية مثل (الهيرا جانا) و (الكاتا كانا) حيث كان لهذا الأمر دلالاتهُ الخطيرة في جعل القراءة والكتابة عملية أسهل وأيسر وأشاعتها بين المتعلمين، حيث أدى إلى زيادة الإنتاج الفكري وتشجيع الفنون والأدب بدرجة كبيرة[٦٩]. وأثناء ذلك فأن الأدب كان يمثل ثقافة أرستقراطية يختص بها كبار رجال البلاط من النبلاء، وطبقات العسكريين من الساموراي، وعندما قامت أسرة ميناموتو بالاستيلاء على السلطة في اليابان بعد سحق أسرة (تايرا) وأطلقت على هذهِ الفترة أسم عهد موروماتشي والتي انتقلت فيها سلطة الشوجونية إلى أيدو، أصبح الأدب والثقافة من المميزات المهمة التي التزم بها قادة الإقطاع من الدايميو وحلفائهم من الساموراي وعلى وجوب ترسيخ هذه التقاليد والفنون العسكرية التي تمجد الشجاعة والإقدام والولاء العام وطاعة الوالدين الولدين[٧٠]. لذلك أخذت الثقافة والفكر تزدهران خلال هذهِ الفترة بين أبناء أوساط الطبقة الحاكمة وأبناء الساموراي، حيث برز (ميناموتو نوسانتومو) وهو شاعر وساموراي كبير من كامكورا، حيث نظم قصائد كثيرة تضمنت تمجيد الحياة الثقافية والطبقة العسكرية في ذلك الوقت[٧١]. وقد أنشأ خلال تلك الفترة المركز الثقافي (كاتازاوا بونكو) بالقرب من كاماكورا قرب نهاية القرن الثالث عشر على يد (هوجو نو سانيتوكي) وهو أحد كبار الساموراي المقربين في الحكم، وقد أنشأ هذا المركز لكي يكون مكتبة لأبناء الساموراي، وكذلك تلتها مدرسة (أشيكاجا) في مدينة أشيكاجا بمقاطعة (توتستيجي) سنة ١٤٣٢م، حيث كانت تدرس الفنون العسكرية وأمهات الكتب الصينية والطب[٧٢]. وعندما استطاع أياسو من توحيد مقاطعات اليابان وتأسيس شوجونية توكوجاوا، ١٦٠٣ في أيدو، عرف عنهُ بأنهُ الشوجون (جمَّاع

الكتب)، وعلى الرغم من أن فترة حكم توكوجاوا تعد بداية عهد الإقطاع الثاني، ويعبر عنها بالحكومة الإقطاعية الثانية، إلا أنها كانت فترة انتقال حقيقية من مرحلة الإقطاع إلى الفترة الحديثة، حيث قام الشوجون توكوجاوا أياسو ومن جاء بعدهُ من أسرتهِ بتشجيع أنشاء المكتبات والمدارس(٧٣). ومن أشهر مكتبات عصر توكوجاوا مكتبة (نايبكاكو- بونكو) حيث كانت في الأصل مكتبة شخصية لأسرة أياسو، وكذلك اشتهرت مكتبات (شوكوكان بونكو) في منطقة ميتو، ومكتبة (سونكايي كاكو بونكو) في منطقة (كاتازاوا) وكان أغلب ألمستفيدين من هذهِ المكتبات الساموراي والتجار(٧٤). وعلى الرغم من ازدهار حركة النشر والتي دفعت بالتجار إلى المساهمة في أنشاء المكتبات، وأصبحت المكتبات مفتوحة للجمهور العام في مختلف أنحاء اليابان إلا أن عملية استعارة واستعمال الكتب والاستفادة منها كان يصطدم بالكثير من العوائق والقيود(٧٥). حيث كانت القيود المفروضة على الاستعارة وخاصة الغرامة التأخيرية أو الرهن البديل عن الكتاب تحمل المستعير المسؤولية الكبيرة إزاءها، وكان حجم المجموعات والمصادر المهمة قليلاً وعلى سبيل المثال فأن مكتبة (موميجيما بونكو) التي كانت أكبر مكتبة في ذلك الوقت في اليابان كان فيها حسب السجلات (٤٧٣٨) عنوانا، (٧٨) لفافة، (٤٦١٥) ملزمة غير مجلدة باللغة الصينية و(٥٩٢) عنوناً، (٢٠٠) لفافة باللغة اليابانية(٧٦). كما أن عملية ارتياد المكتبة والدخول إليها وخاصة المكتبات التي تدعى (فوجيمي- تاريي- بونكو)، تعد مسألة معقدة الإجراءات للغاية، حيث كان يطلق عليها مكتبة (الكشك السري) في (موميجيبابا)، حيث كانت هذهِ المكتبة تقدم خدماتها حصرياً لطبقة الساموراي(٧٧). ألا أن مكتبة الإعارة للتجار والتي تعرف باسم (تايسو) كانت إجراءاتها أخف وطأة على المستفيدين على الرغم من أنها تفرض رسوم إعارة، ألا أنها كانت متاحة للجميع من الجمهور العام ومن الطبقة الأرستقراطية وطبقة الساموراي، وكانت مكتبات الإعارة في أيدو وأوساكا تفرض رسوماً أعلى من رسوم مكتبة (تايسو) وكانت مجموعاتها ترفيهية أكثر منها بحثية(٧٨). وقد زار (يوكيتشي فوكوزاوا) (١٨٣٥-١٩٠١)م رائد التربية الحديثة في اليابان المكتبات الوطنية والعامة في الولايات المتحدة وأوربا سنة (١٨٦٠) و (١٨٦٣) ووصفها في كتابه "الأحوال الثقافية والاجتماعية في الغرب" والذي نشره باليابانية سنة ١٨٦٦(٧٩).

المبحث الرابع: النتاج الثقافيّ والأدبيّ للساموراي

يمكن تتبع بدايات الإنتاج الثقافي والفكري للساموراي خلال مرحلة الإقطاع الأولى خلال مرحلة القرون الأربعة التي تلت فترة الكامكورا وبعدها في عهد المورومانتشي في العاصمة كيوتو، وذلك لأن بواكير الإنتاج الثقافي والأدبي للطبقات المحاربة لم يكن موجوداً عدم نشوء الأرستقراطية الحربية والتي لم تظهر ألا في فترة أسرة مينا موتو سنة ١١٨٥ عندما استولى على اليابان بعد أن سحق أسرة تايرا ، حيث كانت طبقة المحاربين تعرف آنذاك بـ البوشي(٨٠).

وفضلًا عن ذلك فإنَّ الأدب الياباني تأثر كثيراً ومباشرة بالأدب الصيني، إلا أن سماته وخصائصه اختلفت كثيراً عنه، ومما جعل من الصعوبة تتبع أصول الإنتاج الفكري الياباني بشكلهِ العام، هو تأخر اليابانيين في وضع نظام خاص للكتابة بهم، والذي استمدوا أصوله من الصينية، وطوره بعد أن استبدلوا طريقة لفظ الأصوات الصينية بنبرة يابانية، والتي تفتقر إلى النبرة الحادة القاطعة والنغمة المعبرة، الأمر الذي جعل البناء الشعري الياباني لا يختلف عن النثر سوى في تركيب الأبيات[٨١]. ولقد اتسمت فترة الأدب الوسيط (١١٩٢-١٦٠٠م) بشكلها العام بكونها فترة للاضطرابات السياسية والطوائف العسكرية التي حكمت البلاد، كذلك كثرة الطوائف البوذية واعتناقها من قبل الكثيرين أملاً في الخلاص وتحقيقاً للسلام الداخلي، كما أدى ظهور العسكرية الأرستقراطية المتمثلة بطبقة المحاربين الساموراي عاملاً في إضفاء بعد جديد للحياة الثقافية والأدب في اليابان الإقطاعية، حيث أدى الانتقال السياسي والاجتماعي المصحوب بالاقتصاد الإقطاعي، إلى انهيار الأخلاق القديمة وما حملتهُ من مفاهيم وقيم، وفتح الباب أمام قيم جديدة ونظرة مختلفة إلى الحياة، وبدأت في الوقت نفسه الأرستقراطية القديمة في الاختفاء من السلطة والنتاج الفكري في الوقت ذاته[٨٢]. وكذلك خفت بريق العواصم القديمة (نارا)، (هييان)، كمراكز ثقافية وبرزت الأديرة البوذية والبطولات الأسرة العسكرية من الساموراي في إقليم الدولة كمراكز جديدة لرعاية الفنون والأدب، حيث نشأت في تلك الفترة (قصص الحرب) التي تمجد أبطال الحرب من الساموراي، ووصلت إلى جموع القراء في أنحاء اليابان، ألا أن قصص الحرب والبطولات لم تكن أكثر انتشاراً في مرحلة الأدب الوسيط، لأن كتابات القساوسة، والهواة من الطبقات الدنيا والوسطى، ساهمت في سد الفراغ الفكري بفنون وآداب جديدة وساهمت في الترويح عن أفراد الشعب الذين أصيبوا بالإحباط الشديد من جراء الفوضى وكثرة الحروب التي عمت البلاد[٨٣]. ولقد غلبت النزعة القدرية المشوبة بالحزن والدعوة إلى التمسك بالأخلاق على قصص الحرب في تلك الفترة، حيث كان الرواة الشعبيون يجبون البلاد ليقصوا تلك الروايات على أفراد الشعب[٨٤]. ومن قصص الحرب الشهيرة في تلك الفترة(روايات هايكي) (١١٩٠-١٢١٩) والتي تغطي سنوات (١١٣٢-١٢١٣)، وكذلك قصص الحرب التي تغطي فترة (هوجن) (١١٦٥)، وفترة حروب (هيجي) بين (١١٥٩-١١٦٠) ، وقصص (سجل السلام الكبير) عن ظهور وسقوط الإمبراطور (جو- دانكو)، واعتلاء أسرة (أشيكاجا) للعرش[٨٥]. وكذلك توصف تلك الفترة بأنها العصر الذهبي للأدب الشعبي الروائي، حيث جمع منها في تلك الفترة (١٩٦) رواية شعبية، ومن أهمها مجموعة (مختارات من تعاليم تن ١٢٥٢)، والتي تحتوي على قصص شعبية تشرح عشر مبادئ أخلاقية مستمدة من البوذية أو الشعر فغلب عليها طابع التشاؤم والقدرية وطابع الحزن البوذي[٨٦]. وبعد انتهاء الحرب الأهلية بعد موقعة سكيجاهارا الفاصلة عام ١٦٠٠، وبدء ملامح عصر توكوجاوا بالتشكل والظهور، وشهدت

طبقة الساموراي خلالها استقراراً وثباتاً، بعد أن ظهرت إلى المسرح السياسي كطبقة حاكمة، اتجهت نحو الدعة والاستقرار والراحة والاستهلاك في قلاعها في المدن[٨٧].

وعلى الرغم من أن طبقة الساموراي قد وضعت أسس البحث العلمي الحديث في مختلف الموضوعات، وكانت الرائدة والقائدة لأغلب جهود الإصلاح في الجانب السياسي والعسكري ألا أن أغلب النشاط الثقافي كان من نتاج الطبقة الوسطى والدنيا أو التشونين، ولكن بالرغم من ذلك فأن هناك العديد من الساموراي ذوي الدخول المنخفضة أو من (لرونين الذين لا يخدمون أسياداً، كانت لهم مساهمات ثقافية رائعة من خلال اندماجهم في سكان المدن وواقعيتهم وحياتهم العملية، فكان نتاجهم الثقافي والأدبي انعكاساً لتلك الواقعية وأتسم بالعذوبة والنزعة الإنسانية، بعيداً عن نزعة التشاؤم والملاحم البطولية، ولكن على الرغم من ذلك فأننا لا يمكن أن نغفل دور الساموراي ورجال البلاط من الحفاظ على الشعر الياباني الكلاسيكي الممثل لحقبة الإقطاع خلال حكم أسرة التوكوجاوا[٨٨]. وقد أزدهر الأدب والشعر والرسم والموسيقى في ظل الرخاء والتوسع الحضري الذي شهدتهُ المدن والتجمعات الحضرية الكبرى في تلك الفترة، مثل أيدو وأوساكا وكيوتو، بعد أن أنصرف الساموراي عن الحروب والأعداد لها، وأصبحت فترة الأزدهار الثقافي تعرف بعهد (غيزوكو) وهو اللقب الذي عرف به الإمبراطور (هيغاشي– يامو) والذي تولى عرش إمبراطورية اليابان (١٦٨٧– ١٧٠٩)، ولقد صادف حكم الشوجون (تسونا– يوشي) والذي عرف عنهُ كثرة المجون، ولقد كانت هذهِ فترة الازدهار قصيرة امتدت من (١٦٨٧– ١٧٠٩) إلا أنها أصبحت رمزاً للازدهار الثقافي الذي دام معظم القرن الثامن عشر[٨٩]. وفي هذهِ الفترة تشكلت سمات (الثقافة اليابانية الشعبية) والمتمثلة في طقوس شرب الشاي، وحتى تصنيف الزهور (إيكبانا) ومصارعة السومو، ومدارس الخط والرسم بفن الضرب بالفرشاة على الحرير، ومختلف أنواع الموسيقى والطباعة بالألوان، وكتابة القصة والشعر والمسرح وفنون المشاهدة الشعبية[٩٠].

وقد كانت (الثقافة الشعبية) تسير بشكل معاكس عن (الثقافة الخاصة) التي اشتهر بها المجتمع الارستقراطي في كيوتو خلال عصر هيان والساموراي في الفترات اللاحقة، ولكن على الرغم من ذلك فإنَّ الساموراي لم يكونوا مغيبين عن هذا النوع الشعبي الذي ساد في عصر أيدو، فأغلب المبدعين في مجال الكتابة المسرحية والأدب والشعر في القرن السابع عشر كانوا من الساموراي، من فئات الرونين أو من الفئات الذين احتفظوا بمميزاتهم من الطبقات العليا، حيث أنخرط الساموراي في المجالات المحرمة عليهم من أنواع العمل عندما لم تكن هناك من ثقافة بديلة تحل محل ثقافتهم الخاصة، ولم تظهر ثقافة المدن والتي يصطلح عليها بثقافة (العالم الطافي أو العائم) التشونين، ألا في أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر[٩١]. وبالإضافة إلى ما تقدم من أسباب الازدهار الثقافي والمتمثلة بطول فترة السلام وانتشار الطباعة والكتب، يمكن أن نعد

تنامي الثروة ولاسيما بين فئة التجار وتوزيعها بين مختلف الأنشطة المتعددة الأساس الذي قامت علية الثقافة التشونين، حيث ساهم في خلق الاكتفاء المادي للعامين في مجالاتها مثل المسرح والكتابة والذي أدى إلى خلق سوق استهلاك لم يُعد مقتصراً على فئة الساموراي وحدها، ولم يعد الإنتاج الثقافي في حاجة إلى رعاية الشوجن والدايميو وكبار الساموراي خلال هذهِ الفترة بنتاجهم الأدبي ولاسيما في جانب الكتابة القصصية للمسرح الياباني[٩٢]، ومن أهم الرّواد القصصيين في هذه المجال الثقافي:

أولاً- الكاتب المسرحي تشيكاماتسو مونزيمون (١٦٥٣-١٧٢٥):

والذي يعرف بشكسبير اليابان، ولد تشيكاماتسو لأسرة من الساموراي من فئة "الأتشيزين" التي فقدت امتيازاتها وأنتقل للعيش في كيوتو، حيث كان خلالها طفلاً، ونشأ في مدارس الساموراي الخاصة وتلقى فيها تعليمهُ شأنه شأن أبناء الساموراي، ثم بدء حياتهُ العملية موظفاً أدارياً لدى النبلاء في البلاط، وخلال ذلك ظهرت موهبتهُ في كتابة الشعر وبرع فيه، وعلى أثر ذلك قرر ترك عمله والانضمام إلى فرق المسرح الجوال (الجوروي) أو (البرانكو)، وهو نوع من المسرح الذي يستخدم الدمى المتحركة على نحو مشابه لمسرح العرائس، وظهر في القرن السادس ويكون العرض فيه مصحوباً بآله موسيقية وترية تسمى (بيوا)، ثم استخدمت آلة (الشامسين) مصاحبة للسرد القصصي، ويسمى المسرح باسم (الجوروي) نسبة إلى أميرة عاشت في القرن الثاني عشر كانت قصتها تروي من قبل الرهبان بصحبة الآلات الوترية[٩٣]. وعلى الرغم من أن انضمام الساموراي لأحد الفرق المسرحية الجوالة يعُد أمراً مشيناً ومعيباً ويحط من فئة ومكانتهِ الاجتماعية، فأن ذلك لم يثن تشيكاماتسو من أن يكون كثير النتاج الأدبي لمسرح الجوروي، حيث كتب أكثر من (١٠٠) مسرحية لمسرح الدمى، كانت بمثابة التحديث في الكتابة القصصية، حيث غيرت من شكل ومضمون المسرح الياباني وبشكل بناء وموضوعي[٩٤]. وقد كانت موضوعات التعارض بين (الواجب والعاطفة) أهم ما ميز أعمالهُ المسرحية، حيث كان يحاول أن يعبر عن آراء معاصرية وأبناء عصره من أبناء الساموراي الذين يعانون من تمزق المشاعر بين الانقياد والامتثال لقيم البوشيدو والقيم الكونفوشيوسية والتمرد عليها والانسياق وراء العاطفة والانغماس في أحياء المتعة التي توفرها فتيات (الجيشا)[٩٥]. لذلك لم تخرج مسرحياتهِ الأولى عن أطار الملاحم التاريخية المتداولة فكانت مسرحيته الأولى التي عرضت في كيوتو على مسرح (البرانكو) عام ١٦٨٣ استعراضاً لتاريخ أسرة (سوغا) العريقة والتي شهدت اليابان خلال فترة حكمها دخول الديانة البوذية واعتمادها كديانة رسمية[٩٦]، إلا أن تشيكاماتسو لم يكن كغيرة من الكتاب الذين تناولا سيرة أسرة (سوغا) بشكلها الأسطوري حتى القرن الثالث عشر، بل تابع مسيرته العريقة أجيالاً مسلطاً الضوء وكاشفاً لأسرار متعددة من حياة الأسرة في مختلف جوانب الصراع والبطولة والتضحية والدسائس

والخيانة والحب المحرم وتركة الواجبات الثقيلة، التي يرزح تحتها الساموراي الشاب، وكانت شخصية (البغي) من أهم الشخصيات التي ركز عليها تشيكاماتسو بوصفها أنموذجا للمشاعر الرقيقة وأظهرها بصورة امرأة ناعمة ومرهفة الإحساس تقدم التضحية لمن تحب حتى الموت(٩٧). حيث كانت قصة الحب المستحيل الذي تقف في وجه قيم المجتمع وتقاليده، وخاصة عشق الساموراي الذي يصفهُ بأنهُ أسطوري ومحرم عليه بسبب واجب الانتماء الطبقي وتقاليد البوشيدو، فيستعرض أمثلة منه في مسرحياته كعشق ساموراي تابع أبنه سيده وفي أحيان أخرى لزوجة سيدة الفاتنة، وفي أحيان أخرى يعرض صورة لمشهد رجل من الساموراي يعشق فتاة من الجيشا في بيت للمتعة، ولا يستطيع جمع المال لعتقها من حياة الرذيلة(٩٨). ويستعرض تشيكاماتسو هذهِ الأحداث الكثيرة الحدوث في عصره في صيغة درامية على المسرح، وكانت أغلب مسرحياته تنتهي بانتحار البطلين أو العاشقين، الساموراي لرفضهِ التخلي عن واجبه وإخلاصه لسيده، والمرأة لرفضها الواقع المتزمت الذي تفرضهُ الطبقية والتبعية والإقطاعية(٩٩).

وتركزت أغلب النصوص المسرحية لتشيكاماتسو في فئة الساموراي وقيمهم، مغيباً شخصية الفلاح والتاجر، وأن ظهرت شخصية التاجر فهي على الأغلب شخصية نمطية أو متصفة بشهامة الساموراي، وكان التركيز الأشد على طبيعة (الواجب) (الجيري) الذي يلتزم بهِ الساموراي ويقيد عاطفتهم والخشية الأسطورية من العار الذي لا يمكن غسلهِ، إلا بالانتحار عند الخروج عن المبادئ البوشيدو التي هي كالسيف المسلط على رقاب الساموراي(١٠٠).

وكانت كتابات تشيكاماتسو تلاقي رواجاً ودعماً كبيراً من نبلاء البلاط في كيوتو، وكبار الساموراي في المدن الأخرى وذلك لأن مسرح(البونراكو والكابوكي) كان موجهاً إلى فئة النبلاء والبلاط والساموراي عبر الموضوعات التي يتناولها، وبالإضافة إلى ذلك فأن أغلب الذين امتهنوا الكتابة لهذين المسرحين هم من فئة الساموراي الذين دفعتهم ظروفهم المادية للعمل في مجال العروض المسرحية، التي كانت تعرض ثقافة النخبة في عصر توكوجاوا ثقافة الساموراي، وبأسلوب شعبي بواسطة الدمى المتحركة(١٠١). وكان تشيكاماتسو مجدداً في المسرح الياباني بشكل يستحق عليه أن يلقب بشكسبير اليابان، وذلك أنهُ أعطى زخماً قوياً وساهم في تحريره من نمطهِ الكلاسيكي، عبر مجموعة من التقنيات المستحدثة، فكان حريصاً على نشر مسرحياته قبل عرضها على المسرح، ليتابع الجمهور متابعة المقاطع الشعرية ومعرفة معانيها، وكذلك عرف عنه كثرة تلاعبه بالألفاظ حيث كان يختار الكلمة والوزن المناسب لقطعتهِ الشعرية ليشد انتباه المتفرج ويحدث لديه التفاعل العاطفي، وخصوصاً عند مطابقة حركة الدمى مع كلمات النص المسرحي (الحوارية) ليجنب العرض ضيق الحركة بسبب محدودية تحريك الدمى(١٠٢). وكذلك وسع تشيكاماتسو من لغة الحوار المسرحي ليكسر بذلك الجمود الذي كان يرافق النص، لتنطق

شخصياتهِ المسرحية بما كان صعباً البوح بهِ في الحياة العامة، فمثلاً نجد أن اللغة الحوارية للمرأة في المسرح تصبح لغة جريئة، وتعبر المرأة فيها عما ينتابها من عاطفة وغضب وتصرَّح بغرامها وقصة حبها غير خائفة من الموت بسبب التقاليد التي تفرضها المرتبة أو الطبقة الاجتماعية لفئات الساموراي[١٠٣]. ومن الإضافات الأخرى التي ادخلها تشيكاماتسو إلى مسرح البونراكو ويعتبر من خلالها رائداً ومبتكراً في الوقت ذاته، هي أضافه البعد التقني للدمى الخشبية حيث كانت عبارة عن تماثيل خشبية غير متحركة، فأبدلها بأخرى تتميز بالقدرة على الحركة، حيث زودت بشفاه وجفون متحركة وأيادي تمسك بالأشياء، مما أدهش المشاهد وخاصة بعد أن أصبحت الدمية تتحرك في كل الاتجاهات بعد أن أصبح ثلاثة من الممثلين يحركون الدمى بدلاً من ممثل واحد[١٠٤]. ومن خلال ذلك نرى بأن أسلوب (تشيكا ماتسو) الأدبي والفني والتقني وما أحدثهُ من قفزة نوعية في مسرح (البونراكو) يعزى إليه الفضل في زيادة الإقبال والانتشار الواسع لشريحة المشاهدين طوال القرن الثامن عشر، والانتقال بهذا الفن إلى مستوى المسرح الحقيقي الذي يعالج القضايا والمشاكل الاجتماعية المعقدة في عصره، وجاعلاً من مسرح الدمى الياباني من أرفع الفنون الأدبية على الصعيد العالمي بعد أن كان فناً للفرجة وإمتاع المشاهدين لا غير.

ثانياً- كانامي (١٣٣٣-١٣٨٤):

يعدُّ كانامي المؤسس والرائد الأول لمسرح النو، وينتمي لفئة منخفضة من ساموراي المدن الذين اندمجوا في المكونات الاجتماعية وامتهنوا التجارة والأعمال الأدبية لسد نفقات المعيشة اليومية، وكان كانامي يتمتع بمواهب متعددة في التمثيل والرقص والغناء المسرحي، في مسرح الفرق الجوالة خلال عهد هييان، وكانت فنون مسرح النو موجهة إلى الشريحة الشعبية والعامة من الناس، ولكن كانامي ببراعته وحسن تدبيره أحدث تغييراً جذرياً في هذا النمط الشعبي من مسرح الفنون الشعبية وجعلهُ ملائماً لذوق الطبقة الحاكمة والفئات العليا المتمثلة بالشوجن وكبار الدايميو من الساموراي[١٠٥].

ويمثل مسرح النو فناً من فنون الرقص والغناء الشعبي التي تتميز بالطابع الديني، وكانت عبارة عن رقص وعرض غنائي درامي يؤديه ممثل أو ممثلان رئيسيان بصحبة ممثلين ثانويين، يرتدون الأقنعة وألبسة ترمز إلى الشخصيات التاريخية التي يقومون بأدوارها، ويرافق الممثلون مجموعة من العازفين على الطبل والناي، ومنشدون يقومون بدور الرواة للأحداث التاريخية وما يجول في نفس الممثلين[١٠٦]. وكان مسرح النو يمثل متعة حقيقية للمشاهد ولاسيما للشوجون وأفراد حاشيته حيث كان من كبار مشجعي هذا الضرب من الفنون المسرحية، ولاسيما وأنهُ كان يحاكي الخيال والمشاعر عبر استعراض الملاحم ومثيولوجيا أبطال الحروب من أشهر محاربي الساموراي بأسلوب الإلقاء الغنائي بمقاطع شعرية منظومة ومصحوبة بالأنغام الموسيقية البطيئة[١٠٧].

وشهد عهد الشوجن الثالث من أسرة أشيكاغا (يوشي ميتسو) (١٣٥٨– ١٤٠٨)، والذي كان محباً للفنون وصاحباً لذائقة فنية خاصة للمسرح، وباعثاً ومجدداً لكثير من الفنون الأدبية في اليابان عبر اعتناقه لمذهب (الزن البوذي) الذي مهد لهُ الانفتاح الفكري على الثقافة الصينية، أول العروض المسرحية لمسرح النو لـ كانامي، التي كانت تتناول ملاحم الساموراي العريقة[١٠٨].

ولقد خلف كانامي في أدارة وتطوير مسرح النو أبنهُ (زيآمي) (١٣٦٣– ١٤٤٣)، حيث أقتفى أثر والدهُ في ترسيخ وتوطيد دعائم التحديث والتجديد في هذا النمط المسرحي، فقام بكتابة الرسائل التعليمية الكفيلة بتحسين أداء الممثل على خشبة المسرح، وبالإضافة إلى أعادة صياغة ما يقارب الـ(٩٠) نصاً مسرحياً ليلاءم ويحاكي متطلبات الشوجن والأرستقراطية العسكرية من الساموراي[١٠٩]. وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر وبعد تباطأ للحركة الثقافية خلال فترة الحروب الأهلية في نهاية القرن الخامس عشر أصبح مسرح النو المتعة المفضلة للشوجون والدايميو وكبار الساموراي، حيث تم احتضانهُ ودعمهُ شخصياً من قبل الشوجن هيدي يوشي الذي كان مغرماً به الدرجة كبيرة ولكثير من فنون الاستعراض في ذلك الوقت، حيث كان هيدي يوشي يرى في مسرح النو نمطاً دعائياً يثبت من مكانة الأرستقراطية العسكرية والساموراي بين الطبقات الشعبية والأجانب، لاسيما وأنهُ كان يقوم بدعوة بعض أعضاء البعثات التجارية والمثليات الأوربية من الهولنديين[١١٠]. وكان قد وصل الشغف والتشجيع بالشوجن هيدي يوشي للفنون وخاصة لمسرح النو، للدرجة التي كانت تدفعهُ للمشاركة شخصياً في عروض المسرح كأحد الممثلين، مشخصاً لأصعب الأدوار البطولية فيه، وكذلك كان يعطي توجيهاتهُ الشخصية لكتابة بعض النصوص المسرحية التي تتضمن بعض الشخصيات التي تماثلهُ في البطولة، ليؤدي دورها على خشبة المسرح[١١١].

في عهد الشوجن أياسو شهد مسرح النو تطوراً ملحوظاً وأصبح يحظى بدعم الشوجون مباشرة، وتم رفع مكانتهِ ليصبح مسرحاً أرستقراطياً خاصاً بالشوجن وأتباعه ولا تقدم عروضه ألاَّ في بلاطهِ الخاص المكون من حاشيته وكبار الدايميو والساموراي وخلال حكم توكوجاوا وتم إصدار مجموعة من القوانين التي تنظم عمل مسرح النو بجميع جوانبه ابتداء من موضوع النص وشكل المسرح وأبعاده، وحتى تثبيت حق ممارسة هذا الفن المسرحي وأسماء العوائل التي يجب أن تتوارث هذهِ المهنة[١١٢]. وعلى الرغم من أنَّ إجراءات الحكومة كانت قد رفعت من مكانة مسرح النو المتواضعة إلى مستوى أعلى ألا أن ذلك أثار أشياء في الأوساط الشعبية التي حرمت من هذا النوع الممتع من المسرح وجعلهُ مقتصراً على الأرستقراطية العسكرية، الأمر الذي أدى إلى محدودية عطاء مسرح النو واقتصاره على قصص الملاحم والبطولات، وعدم تطوره ليتناول الموضوعات

الإنسانية الأخرى، على النقيض من مسرح الكابوكي الذي أحتل مكان الصدارة ضمن تقاليد المسرح والثقافية اليابانية[١١٣].

ثالثاً- ناميكي شوزو (١٧٣٠- ١٧٧٣):

وهو كاتب مسرحي من فئة منخفضة من ساموراي المدن، نشأ في مدارس الساموراي الخاصة (التراكويا) وتلقى تعليمهُ فيها، وكان معتنقا لمذهب الزن البوذي التي كانت شائعاً لدى فئات الساموراي ومتأثراً بهِ الأمر الذي أنعكس على كتاباتهِ المسرحية ويعتبرناميكي شوزو رائداً في مجال (تقنيات الفضاء المسرحي) من أعمال البناء أو ما يسمى بفن بناء المسرح (الديكور)، حيث كان بناء المسرح الياباني لا يختلف كثيراً عن غيره من المسارح الأوربية[١١٤].

فكان يتكون من منصة للأداء المسرحي، وشرفات جانبية وقاعة واسعة للجلوس، وأما الشكل الخارجي فكان عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل ذات سقف مدبب ومنفرج الزوايا على غرار بناء البيت الياباني، والشيء المميز للمسرح الياباني عن المسرح الأوربي وجود (الهانا ميتشي) والذي هو عبارة عن ممر مرتفع على جانب صالة المتفرجين يستخدمهُ الممثل عند الخروج لأول مرة إلى المسرح وكذلك يستخدم كجزء من الديكور، أما خشبة المسرح فكانت تزود بمتطلبات العرض المسرحي من رسومات خلفية ومجسمات تعطي انطباعاً بالمكان والزمان، وكذلك بستارة تنزل عند نهاية كل فصل، وكان مكان العازفين منضوياً في خشبة المسرح التي كانت تتسع وتقسم حسب حاجات ونوع العرض المسرحي[١١٥]. ومن الموضوعات الجديدة التي أدخلها ناميكي شوزو فيما يتعلق بالفضاء المسرحي إدخال التعديلات على خشبة المسرح لتعكس الحالة الاجتماعية والطبقية السائدة في تلك الفترة من الحكم الإقطاعي في اليابان[١١٦].

فكانت الجهة اليمنى من خشبة المسرح مخصصة للممثلين والذين يؤدون أدوار الممثلين من كبار الساموراي ورجال السلطة بينما كانت الجهة اليمنى مخصصة للممثلين الذين يؤدون أدوار الطبقات الدنيا من المجتمع، كذلك أبتكر ناميكي شوزو (التقنيات الميكانيكية) ووضعها موضع التطبيق في المسرح مثل أرضية المسرح الدائرية التي تتيح الانتقال السريع من مشهد إلى أخر، والأبواب الخفيَّة التي تؤدي إلى اختفاء الممثل بشكل سحري، وكذلك الرافعات التي ترفع الممثل في الهواء لإدارة مشاهد الطيران[١١٧]. وبذلك كان المسرح الياباني في عهد الإقطاع لا يقتصر على الموهبة وحدها للدخول إليه، بل أن حرفة التمثيل كان شأنها شأن الحرف أو المهن الأخرى في عهد توكوجاوا، حيث تعتبر مهنة يتوارثها الأبناء من الآباء داخل الأسرة الواحدة لإتقان فنون الصنعة، حتى أدى الأمر إلى احتكار الأسرة التي أسسها (إيتشكاورا دانجورو) (١٦٦٠-١٧٠٤) أدوار البطولة وملاحم محاربي الساموراي حتى القرن العشرين على مدى عشرة أجيال كان أخرهم (إيتشيكاورا دانجورور) الحادي عشر من الأسرة، وكذلك من الأسرة التي اشتهرت باحتكارها للتمثيل

أسرة (باندوميشوغورو) و (إوائي هانشيرو) ولمدة عشرة أجيال[١١٨]. وكان على الممثل الرئيسي أن يثبت جدارته واستحقاقه لمهنة أسرته ويتوجب عليه أثناء العرض المسرحي أن يدخل من الممر الرئيسي (هانا ميتشي) ويذكر أسمهُ وتاريخ أسرتهِ وأمجادها في مجال التمثيل بصوت عميق وجهوري متمثلاً بجسارة الساموراي وتقاليده في المعركة.[١١٩]

واخيراً لا بُدَّ من القول أن نهاية نظام الشوجنية الذي انتهى بتنازل الشوجن الأخير عن منصبه طواعية وتفكيك النظام العشائري والطبقات الاجتماعية في العهد الجديد الميجي الذي ادى إلى تحلل الساموراي من واجباتهم بعد ظهور الجيوش الحديثة واخذ هؤلاء يندمجون بالمجتمع وانصرفوا إلى تأليف الكتب وتأسيس المدارس والمكتبات والمسارح فأزداد نشاطهم الثقافي والعلمي واسهموا بدور فاعل في نهضة اليابان المعاصرة.

الهوامش:

(١) أدوارد، بوشامب، التربية في اليابان، مكتبة التربية العربية لدول الخليج ترجمة وتعليق، د. محمد عبد العليم مرسي، الرياض، مكتبة التربية العربي لدول الخليج العربي الرياض، ص ١٧-١٨.

(٢) سامر السليمان، أصول اللغة اليابانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٥-١٠.

(٣) محمد عبد القادر حاتم، التعليم في اليابان، المحور الأساسي في النهضة اليابانية القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٩، ص٦.

(٤) محمد عبد القادر حاتم، أسرار تقدم اليابان: القاهرة، مطابع الأهرام، ١٩٩٠، ص ٨.

(٥) مسعود ظاهر، تاريخ اليابان الحديث ١٨٣٣-١٩٤٥ التحدي والاستجابة، ط١ مركز الأمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٩، ص ٥١-٥٢.

(٦) المصدر نفسه، ص٥٢-٥٤.

(٧) عبد الله حسن الموسوي، دور التربية في نهضة اليابان، المجمع العلمي ، مج٤٥ ، ج١ ، بغداد، ١٩٩٨، ص ١٤٤-١٤٧.

(٨) محمد جابر الأنصاري، جذور التربية اليابانية وخصائصها المتميزة مع مقارنتها ببعض البدايات العربية في التربية، رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الكويت ، ١٩٩٥، ص ١٥.

(٩) أدوين ريشاور، اليابانيون، ترجمة: ليلى الجبالي، مراجعة: شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والاداب،الكويت، ١٩٨٩، ص ٢٤٠.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٢٤١. ادوارد. د. بوشامب، المصدر السابق ص ٢٣-٢٤.

(١١) جمال أسد مزعل، دراسات في التربية المقارنة، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٧٨، ص (١٥-١٧).

(١٢) محمد جابر الأنصاري، المصدر السابق، ص ٦٢.

(١) جمال أسد مزعل، المصدر السابق، ص (١٦- ١٧).

(١٤) الزن البوذي: هو مذهب من المذاهب التي تفرعت عن الديانة البوذية، ويعني التأمل العميق والتدبر في المخلوقات والطبيعة، ويمارس رهبان هذه المذهب رياضة التأمل الروحي لساعات وأيام عديدة عبر الأنقطاعات عن الملذات الحسية لغرض بلوغ مرحلة الـ(قافا) أو السطوع والتنوير). ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٨، ص (١٠٦-١٠٧).

(١٥) ماكوتو آسو أيكوومانو، التعليم ودخول اليابان العصر الحديث، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٨-٩.

(١٦) عبد الرحمن أحمد الأحمد وحسن جميل طه، التعليم في اليابان، تطوره التاريخي ونظامه الحالي، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣، ص ٢٣-٢٥.

(١٧) عبد الرحمن أحمد الأحمد، حسن طه، المصدر السابق، ص ٢١-٢٥.

(١٨) ماكوتو آسو، أيكوو آماتو، التعليم ودخول اليابان العصر الحديث، سفارة اليابان، القاهرة، ١٩٨٦، ص٨.

(١٩) محسن خضر، عناصر التحديث في التجربة اليابانية، أفاق عربية، السنة الثالثة عشر، العدد الثالث، آذار، ١٩٨٨، بغداد، ص ٩٩-١٠٠.

(٢٠) ماكو آسو. أيكوو آماتو، المصدر السابق، ص ٧-٨.

(٢١) ادوارد. بو شامب، المصدر السابق، ص ٢٤-٢٥.

(٢٢) عبد الرحمن أحمد الأحمد. حسن جميل طه، المصدر السابق، ص ٢٣-٢٥.

(٢) يسمى معلم العلوم والخبرات الدينية والفلسفية بـ(الجوشا) أما معلم الفنون العسكرية والحربية للساموراي بـ(السنسي)، سامر السليمان، المصدر السابق، ص ١٥.

(٢٤) ماكوآسو، أيكووآمانو، المصدر السابق، ص ١٥.

(٢٥) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٢٦) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٢٧) ماكوتو أسو، أيكووآمانو، المصدر السابق، ص ١٧.

(٢٨) عبد الرحمن أحمد الأحمد. حسن جميل طه، المصدر السابق، ص ٢٥-٢٦.

(٢٩) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٤٨-٤٩.

(٣٠) فوكوزا- يوكيتيشي، أشياء غربية، تقديم كازايوشي فاكاياما، مطبعة جامعة طوكيو،ة طوكيو ١٩٨٥، ص ٣-٥.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٥-٨.

(٣٢) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٥-٨.

(33) Herbert passin, society and Education in Japan, Tokyo, 1982, p.3.

(34) Ibid,.p.4.

(35) Ronald Philip Dore, Education in Tokugawa Japan, University of Michigan, 1992, p.106.

(٣٦) لسترثرو، رأساً برأس اليابان وأروبا وأمريكا، ترجمة محمد فريد حجاب، دار الهلال، ١٩٩٣، ص ٩٩.

(٣٧) عبد الله الموسوي، التكوين الثقافي المعاصر للشخصية اليابانية، مجلة دراسات فلسفية، بيت الحكمة، العدد الثالث، السنة لثالثة، ٢٠٠٠، ص ١٠٠-١٠٩.

(٣٨) يوتاكا-تازاوا، التاريخ الثقافي لليابان، نظرة شاملة، طوكيو، وزارة الخارجية، ١٩٩٢، ص ٢٥-٣٠.

(39) Herbert Passin, op., cit., p.185.

(٤٠) يوري كوزلوفسكي، الفلسفة اليابانية المعاصرة، ترجمة خلف محمود الجراد، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص ١٧.

(٤١) إدوارد، بوشامب، المصدر لسابق، ص ٥.

(٤٢) محمد أعفيف، أصول التحديث في اليابان (١٥٦٨-١٨٦٨)، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، عدد (٨٧)، بيروت، ٢٠١٠. ، ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٤٠٧-٤٠٨.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٤٠٩-٤١١.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ٤١٨- ٤١٩.

(٤٦) محمد اعفيف،المصدر السابق، ص ٤١٨-٤١٩.

(٤٧) يوريكوزولوفيسكي، المصدر السابق، ص ٢٠.

(٤٨) جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: أمام عبد الفتاح، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦،ص ٣٦٥، ٣٦٩.

(٤٩) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٤١٥.

(٥٠) شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٧، ص٥٥٧.

(٥١) شعبان عبد العزيزخليفة، المصدر السابق، ص ٥٥٧-٥٥٨.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٥٥٧-٥٥٨.

(٥٣) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٤٤١.

(٥٤) شعبان عبد العزيز خليفة، المصدر السابق، ص ٥٥٩-٥٦٠.

(٥٥) شعبان عبد العزيز خليفة،المصدر السابق، ص ٥٦٠.

(٥٦) الكسندر ستيبتشفتش، تاريخ الكتاب، القسم الأول، ترجمة محمد الأرناءوط، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ١٩٩٢، عالم المعرفة ١٩٦٩، ص ١٤-١٥.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٥٩) الكسندر ستيبتشفتش، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ١٤-١٥.

(٦٠) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٤٤١.

(٦١) محمد أعقيف، المصدر لسابق، ص ٤٤٢.

(٦٢) فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، تعريب: فالدين الصغير، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٦، ص ١٠٣-١٢٣.

(٦٣) تازاوا بو تاكا، الناتج الثقافي لليابان، نظرة شاملة، طوكيو، أدارة الشؤون الثقافية، ١٩٩٢، ص ٢٥.

(٦٤) شعبان عبد العزيز خليفة، المصدر لسابق، ص ٥٦١.

(٦٥) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٤٥٢.

(٦٦) الكسندر ستيبتشفتش، تاريخ الكتاب، القسم الأول، ص ٨.

(٦٧) هيلين ميرز، اليابان، ترجمة عفاف محمد فؤاد، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦، ص ٣٢-٣٤.

(٦٨) هيلين ميرز، المصدر السابق، ص ٣٣.

(٦٩) عدنان عباس الحمداني، تعليم اليابانية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٤-٢٠.

(٧٠) محمد عبد القادر حاتم، التعليم في اليابان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٤-١٦.

(٧١) وفيق خنسة، الشخصية اليابانية، دمشق، دار الحصاد، ١٩٨٧، ص ٢٥.

(٧٢) علي المحجوبي، النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر لماذا فشلت في مصر وتونس ونجحت في ليابان، مركز النشر الجامعي، تونس، ١٩٩٩، ص ٥-١٧.

(٧٣) هيلين ميرز، المصدر السابق، ص ٣٣.

(٧٤) يوتاكاتازاوا، التاريخ الثقافي لليابان، نظرة شاملة، طوكيو، وزارة الخارجية، ١٩٩٢، ص ٣٠.

(٧٥) يوتاكاتازاوا، المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٧٦) علي المحجوبي، المصدر السابق، ص ٨-١٧.

(٧٧) شعبان عبد العزيز خليفة، المصدر السابق، ص ٥٦١- ٥٦٢.

(٧٨) شعبان عبد العزيز خليفة، المصدر نفسه، ٥٦٢.

(٧٩) محمد عبد القادر حاتم، المصدر السابق، ص ١٥.

(80) John whitney Hall, Japan From prehistory modern Times, weiden Feld and Nicholson Ltd, 1970, p.28.

(٨١) مجموعة من الكتاب اليابانيين، دعوة إلى الأدب الياباني، معهد الثقافة الياباني، طوكيو، ط١، ١٩٧٦، ص ٣١-٤٠.

(82) The Taming of the samurai, London, Harvard University press, 1995, p.31.

(٨٣) محمد صبيح عبد القادر، اليابان، دار الثقافة العامة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١١٦.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ١١٦-١١٧.

(٨٥) كودانشا، اليابان دولة شعب حضارة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص ٢٤-٢٥.

(٨٦) يوكيو ديندوكيوكا، تعاليم بوذا، ترجمة حازم مالك حسن، ط١، بغداد، ٢٠٠٨، ص ١٣-١٤.

(٨٧) تشستر. أ. بين، الشرق الأقصى "موجز تاريخي"، ترجمة: حسين الحوت، مراجعة: فريد عبد الرحمن، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٣٠.

(88) G. J. Dann, Every day life in traditional Japan, London, bats ford ltd, 1869, p.146-147.

(٨٩) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٤٠٥- ٤٥٦.

(90) Donald Jenkins, the Flotation Revisited Portland: Portland museum, 1993, p.4.

(91) Donald Jenkins, Lbid, p 5.

(٩٢) Donald Jenkins, op. cit.p.6.

(93) Peter Nosco, Remembering Paadies, Cambridge University, London, 1990, p.16-14.

(94) Chikamatsa Monzaemon, for major plays, translated by Donai Dkeen,s New York; Columbia- University. Press, 1998. p.5.

(95) Chikamatsa Monzaemon, op. cit., p.5.

(٩٦) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٤٧٤-٤٧٥.

(97) Donald keen, world within walls: Japanese Literature of the pre- modern Era, 1600- 1867, University press of Hawaii, 1981, pp. 270- 271.

(٤) ليزا دلبي، الجايشا وأثرها في تطور العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في اليابان، ترجمة: جريس الخوري، دار النضال للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص٥-٦.

(99) Donald keen, op., cit., p 36.

(١٠٠) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٤٧٦.

(101) Donald keen, op., cit., p 271.

(102) Kodansha, op. cit., vol.4, p.90.

(103) Chikamatsa Monzaemonm op., cit., p. 37.

(104) Masakatsu Guuji, Kabuki and its social Background Tokyo: University of Tokyo press, 1990, p. 193.

(105) Kodnasha, vol.8, op., p.369.

(١٠٦) ناجاي متشيو و ميجال أورتيشيا، نهضة اليابان: دراسات وأبحاث في التجربة الإنمائية اليابانية،ترجمة: نديم عبد وفؤاد خوري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،١٩٩٣، ص ١٤٩-١٥٠.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ١٥٠-١٥٥.

(108) Kodnasha, vol8, op., p 370.

(١٠٩) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٤٦٧.

(١١٠) المصدر نفسه، ص ٤٦٧-٤٦٨.

(111) Donald keen, op., cit., p.113.

(112) Daisetz teitaro sazuki, Zen and Japanese culture Princeton, NJ: Princeton University Press, 1958, p.19.

(113) Donald Keen, op. cit., P.114.

(١١٤) ناجاي متشيو وميجال أورتيشيا، المصدر السابق، ص ١٥٥.

(١١٥) محمد أعفيف، المصدر السابق، ص ٤٨٢.

(١١٦) تازاوايوتاكا وآخرون، المصدر السابق، ص ٣٥-٣٦.

(١١٧) محمد أعفيف، المصدر السابق، ٤٨٢- ٤٨٣.

(١١٨) تازاو يوتاكا، المصدر السابق، ص ٣٦-٣٧.

(١١٩) جون كولر، الفكر الشرقي القديم، ترجمة يوسف كامل حسين عالم المعرفة (١٩٩٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت، ١٩٩٥، ص ١٦-٢٠.

Samurai Education and Teaching system and Cultural Activities from Edo era Until 1868 A.D

University of Baghdad/College of Education –Bin Rashad/ department of History/ Modern and Contemporary

M. A. Student: Abbas Kadam Abbas

Supervised by: Prof. Dr. Norri Abd Al-Hameed Al- Ani

Abstract:

The samurai educational and teaching system in Japan was founded in Nara period which was a simple methods for writing depended in simple symbols represented and depended in legions and mythological stories that arrival from generation to other, but in the last sixth centaury and beginning the seventh century the Chinese culture move on by the monks who carried the boded religion and five convoshuosia principles (education, justice, good treatment, kindness, completed character) and the system of Alkana which moved from Chine to Japan established the new Japanese writing which development in the boded temples in old capital of Nara (710-794)A.D and Samurai teachers who called sensei get this mission in their shoulders and the new schools opened which called (Tara koya) and (Gangago).